كلية : الاداب

القسم او الفرع :التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : الاستاذ الدكتور إيمان محمود حمادي العبيدي

اسم المادة باللغة العربية : الحضارة العربية الاسلامية

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Arab Islamic civilization

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة العربية:نظام الحسبة

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة الإنكليزية :Hesba system

الحسبة وتطورها:

الحسبة لغويا: من تحسب الاخبار، أي تجسسها او تحسسها، ودليل مشروعيتها قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (ال عمران 104). وهي وظيفة دينية قضائية ناصحة رادعة، عرفها الماوردي بقوله (الحسبة امر بالمعروف، ان ظهر تركه او نهي عن المنكر اذا ظهر فعله). ولئن كان القضاء يقوم على اساس فض النزاع اعتمادا على التشريع الاسلامي. ووظيفة المظالم فض النزاع بين المتظلم والدوائر الرسمية كالدواين وكبار رجال الدولة وتتعداها الى اولي الامر من ولاة وعمال والخلفاء انفسهم ، فان الحسبة واسطة بين هاتين الولايتين واحكامها واسطة بين احكامهما. وتشبه الحسبة ولاية المظالم في كونها تقوم على الهيبة والرهبة والقوة والصرامة وفي وجه كليهما إلى النهي عن المنكر والبغي والعدوان. غير أن النظر في المظالم موضوع يقوم على الحكم في قضايا يعجز عنها القضاء والحسبة واذا جاز لصاحب المظالم والقاضي ان يحكم فان صاحب الحسبة (المحتسب) يأمر وينهي من غير أن يحكم ولا يحتاج الى شهود، ولا أن يحلف يمينا على نفي حق، اذ ان المحتسب هو مصلح ديني اجتماعي اقتصادي له صلاحية المحاسبة القضائية ومفوض من الخليفة او الوالي. اما اهم واجبات المحتسب فهي مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية، واقامة الشعائر الدينية والمحافظة عليها، والنظر في ارباب البهائم والنظر في آداب العامة، والبيع كبيع السلع الفاسدة في السوق وكذلك مراقبة الموازين والمكاييل والنقود التي يتعامل بها الناس. وفضلا عن ذلك يقوم المحتسب بمراقبة الشوارع والطرقات لتسهيل المرور، ويمنع الحمالين وأهل السفن من المبالغة في الحمل او شحن السفن بأكثر مما تتحمل: ويحكم بهدم المباني المتداعية كي لا تسقط على الناس، ويمنع معلمي الكتاتيب من ضرب الصبيان، ويحكم في قضايا الغش والتدليس، ويحكم على المماطلين بازاء ما عليهم من ديون فهو الحاكم الناصح المؤدب والناهي الرادع، ولقد وضع الفقهاء مواصفات خاصة لولاية الحسبة فذكروا أن يكون المحتسب (عفيفا خيرا ورعا عالما بالأمور، محنكا، فطنا، لا يميل ولا يرتشي فتسقط هيبته، ويستخف بها، ولا يعبأ به). وأضاف الماوردي الى صفاته: (أن يكون حرا عدلا ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة) كذلك يضيف ابن الأخوة (ان يكون مسلما حرا بالغا عاملا عادلا قادرا). وكان المحتسب يستعين بأشخاص من بين ارباب الحرف والتجارة ويطلق عليهم العرفاء، وكانوا يقومون بمساعدة المحتسب بمراقبة السوق لمنع الغش في الصناعات والمعاملات التجارية والموازين والمكاييل والنقود.

نشأة الحسبة وتطورها:

تشير المصادر التاريخية إلى أن الحسبة ظهرت منذ عصر الرسول (ﷺ) وقد مارسها بنفسه وتبع مسيرته الخلفاء الراشدون. وقد بدأت الحسبة بمراقبة الغش في الطعام، حيث استعمل الرسول (ﷺ) سعيد بن سعيد ابن العاص لمراقبة السوق في المدينة ولاسيما بيع الطعام. وكانت سمراء بنت عفيك الاسدية تقوم بالإشراف على الأسواق في عمر الرسول (ﷺ) (وكانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنهي الناس عن ذلك سوط معها). ويبدو أن عمر بن الخطاب (ﷺ)، كان

اول محتسب في الاسلام، اذ رأى جمّالا يقسوا على جمله فقال له: (حملت جملك ما لا يطيق) ويعد الخليفة عمر (ﷺ) اول من ادخل الحسبة كنظام في الادارة الاسلامية بصورة دائمية حينما استعمل عبد الله بن عتبه على سوق المدينة. وكذلك اقتدى برسول الله (ﷺ) برفع مكانة المرأة العربية الماجدة، اذ ولى الحسبة الشفاء الأنصارية على سوق المدينة. وفي العصر الأموي كان سمرة بن جندب قد تولى الحسبة في العراق وذلك في ولاية زياد بن ابيه وكان زياد يستخلف اذا غاب عنها.

ونظرا لازدهار التجارة وظهور حالات جديدة في المجتمع بعضها منكرة، اضيفت الى المحتسب صلاحيات جديدة في العصر العباسي مثل حقوق الأماء ومنع اخصاء العبيد، ومراقبة القضاة والوعاظ وأئمة المساجد والاطباء والمعلمين والصناع، والنظر في أمور الزنا والغش، ومحاسبة اصحاب السحر والشعوذة. والنظر في مساعدة الفقراء، ومنع المنكر كتعاطي المسكرات والغيبة والنميمة، والكذب، أو مراقبة تاركي الصلاة والإفطار في شهر رمضان.

وأهتم الخليفة هارون الرشيد بولاية الحسبة ومنع الغش والتلاعب بأسعار والإشراف على الموازيين والمكاييل، ومراعاة اثمان البضائع واهتم الرشيد بنفسه بهذه الوظيفة، واقام بنفسه يطوف اسواق بغداد، بفحص الموازين والمكاييل وينظر في معاملات التجار ومحاسبة المتجاوزين على حقوق الناس.

المظالم:

المظالم لغوياً جمع مظلمة (بكسر اللام)، والمظلمة (بفتح اللام) ما تطلبه عند المظالم، والمتظلم الذي يشكو رجلا ظلمه، يقال: تظلم فلان الى المحاكم من فلان فظلمه تظليما، اي انصفه من ظالميه واعانه عليه.

والمظالم اصطلاحاً من أهل الحقوق حقوقهم وأخذ المرء ما ليس له وهي بمعنى أخر (التعدي عن الحق الى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف عن الحق الى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد) وعرف ابن خلدون المظالم بقوله: (وظيفة ممتزجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء، وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة، تقمع المظالم من الخصمين وتزجر المعتدي..) والمظالم سلطة قضائية أرفع من القضاء الاعتيادي ويمكن اعتباره محكمة عليا والذي لا يتولاها الا (ذو الأقدار الجليلة والأخطار الحفيلة) وكان يتولاها رجل من اصحاب القوة والنفوذ واحيانا يترأسها الخليفة، ذلك لأن القضايا التي تطرح من المتظلمين ربما تتعلق بشكاوى ضد رجال الدولة الكبار كموظفي الديوان واعيان البلد ممن تجاوز الحدود وانتصب حقوق الناس الضعفاء.